مطبوعات حديثة

قيس بن الخطيم

(١) ديوانه

لقيس بن الخطيم ديوان، منه نسخة مخطوطة في مكتبة مصر، ومنه نسخة في مكتبة فروق ، وقد طمحت الهمة بالدكتور تداوس كوڤلسكي Dr. thaddäus Kowalski استاذ اللغات الشرقيات في جامعة قراقو « بولونيا » الى طبع هذا الديوان ، فصوّر نسخة فروق واخذ صورتها ، واستنسخ الديوان الذي اشتملت عليه مكتبة مصر ثم دفع اليه استاذه غاير دفاتر جمع فيها شعر قيس بن الخطيم مع متباين الروايات لهذا الشعر ، واعد له مكتبته الخاصة للاستنجاد بها على ضبط الديوان ثم قرأ له الاستاذ ليتمان بعض ما استبهم عليه من الشعر الوارد في دفاتر الاستاذ غاير ، فطبع الدكتور كوڤلسكي في خاتمة الامر ديوان قيس بن الخطيم في ليبسيك سنة ١٩١٤ فطابق الديوان نسخة مصر . وقدّمه الدكتور لاستاذه غاير اقراراً له بفضله وفسر شعر قيس بن الخطيم بالالمانية واشار الى بعض امور تاريخية نبه عليها هذا الشعر وذكر في منتهى الديوان ما نُحل الى قيس بن الخطيم من القول ، وشرح بعض الملتبس من الكلام ولخص الوقائع التي قيل فيها شعر قيس فاحتوى الديوان خمساً واربعين صفحة ، ما خلا القسم الالماني الذي جمع سبعاً وتسعين صفحة .

(٢) صفته واخباره

قيس بن الخطيم هو شاعر الأوس، وصنديد من صناديدها ، كنيته ابو يزيد ، نشأ ايّداً شديد الساعدين ، وكان مقرون الحاجبين ، أدعج العينين ، احمر الشفتين ، برّاق الثنايا ، من احسن الناس وجهاً ، ما رأته حليلة رجل قطّ الا ذهب عقلها.

قتل ابو الخطيم وهو يومئذ صبي صغير قتله رجل من الخزرج ، فنشبت لذلك حروب بين الاوس والخزرج يدور عليها اكثر الكلام في ديوان قيس .

وكان عديّ ابو الخطيم ايضاً قُتل ، قتله رجل من عبد قيس فلما عرف قيس بن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الحطيم أخبار قومه وموضع ثأره جعل يلتمس غرة من قاتل أبيه وجده في المواسم، حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، وظفر بقاتل جده بذي المجاز فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه ولم يكن معه الا رهط من الاوس، فأتى خداش بن زهير صديق أبيه اليثربي واستنجده فنهض معه ببني عامر، حتى أتوا قاتل عدي جد قيس فاذا هو واقف على راحلته في السوق، فطعنه قيس بحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، ثم استمر قيس فأراده رهط الرجل فحالت بنو عامر دونه. وفي ذلك يقول قيس بن الحطيم:

ثأرت عدياً والحطيم فلم أضع وصية أشياخ جعلت ازاءها

(٣) مقتله

لما هدأت حرب الاوس والخزرج تذكرت الخزرج قيس بن الحطيم ونكايته فيهم فتمالؤا على قتله فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالاً له حتى مر باطم بني حارثة فرمي من الاطم بثلاثة أسهم فوقع أحدها في صدره فصاح صيحة سمعها رهطه فجاؤا فحملوه الى منزله فمات.

وقد ذكر أهل المغازي أن قيس بن الحطيم قدم مكة فدعاه النبي ﷺ الى الاسلام وتلا عليه القرآن فقال قيس: اني لأسمع كلاماً عجيباً فدعني انظر في أمري هذه السنة ثم أعود إليك فقتل قبل الحول.

(٤) منزلته في الشعر

قدم المدينة نابغة بني ذبيان، فدخل السوق فنزل عن راحلته ثم جثا على ركبتيه ثم اعتمد على عصاه ثم قال: ألا رجل ينشد، فتقدم قيس بن الحطيم فجلس بين يديه وأنشده:

أتعرف رسماً كأطواد المذاهب

فلم يزده على نصف البيت حتى قال له النابغة: أنت أشعر الناس يا ابن أخي وهذه القصيدة من جيد شعر قيس.

وكان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الحطيم:

بين شكول النساء خلقتها قصد فلا جبلة ولا قضف
تنام عن كبر شأنها فاذا قامت رويداً تكاد تنقصف
تفترق الطرف وهي لاهية كأنما شف وجهها ترف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم يقول : قائل هذا الشعر أنسب الناس .

ومن الناس من يفضل قيس بن الخطيم على حسان بن ثابت ولكن الجمحي صاحب طبقات الشعراء لا يقول بذلك .

وقد جرت لقيس منافسات مع حسان بن ثابت وذلك ان حساناً كان يذكر ليلى بنت الخطيم أخت قيس في شعره وكان قيس يذكر في شعره امرأته عمرة كما ذكرها في مطلع هذه القصيدة :

أجدّ بعمرة غنيانهـــا فتهجر أم شأننا شأنهـــا

(٥) شعره

يتبين للناظر في ديوان قيس أن صاحبه قد اجتمع له أدب النفس وكرم الخلق واستوعب قسطه من الشجاعة وقد صوّر لنا قيس في شعره الحروب التي نشبت بين قومه وبين الخزرج تصويراً لا كلفة فيه ولا تملح .

شبّه قومه في استعار الحرب بالنار التي تأكل الحطب ، يزجون الى الموت حجفلاً أرعن مثل الأتي وهم أصحاب عفاف لا يأخذون لعدوهم سلباً .

أما قيس فالذي يستخرج من صفته أنه كريم المحتد لا يسب بشيء إلا كشف غطاء السبّة وانه شجاع لا يريد بقاء نفسه في الحرب الضروس ، يجالد عدوّه وهو حامر كأن يده بالسيف مخراق اللاعب ويدعو لحقن الدماء فاذا لم يجد مندوحةً عن الحرب لبس لها ثيابها وتفرغ لها برجال يرقلون الى الموت أرقال الجمال المصاعب .

لم يصرف مدحته لغير خداش بن زهير الذي أغاثه وأنجده وهو كما وصفه لنا قيس فتى رحب المباءة والجناب وقومه بنو عامر لا يتعتقون أعراف الخيل في الغارات .

يرى قيس بن الخطيم ان اقامة المرء بدار يهان بها ضرب من العناء وهو يعجب من الذين يسامون خسفاً ولهم في الارض سير وانتواء .

ومن أدبه أن للسر مقراً بسوداء فؤاده وان عينه لا تلمح لغرة جارته وان جاره لا يحذر فجيعته وهو جلد على الخطوب يغلظ جانبه للباغي ويحلو لي لذي القصد .

هذا بعض ما اشتمل عليه ديوان قيس دعْ ما جاء فيه من حكمة بالغـــة ونسيب رقيق .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٦) لمنتخب من شعره

ثأرت عدياً والخطيم فلم أضع ... وصية أشياخ جعلت أزاءها
طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر ... لها نفذ لولا الشعاع أضاءها
وكنت امرءاً لا أسمع الدهر سبة ... أسب بها الا كشفت غطاءها
واني في الحرب الضروس موكل ... باقدام نفس ما أريد بقاءها
إذا سقمت نفسي الى ذي عداوة ... فاني بنصل السيف باغ دواءها
متى يأت هذا الموت لا تبق حاجة ... لنفسي إلا قد قضيت قضاءها

* * *

فيهم لعوب العشاء آنسة الدل عروب يسؤها الخلفُ
بين شكول النساء خلقتها ... قصد فلا جبلة ولا قضف
تغترق الطرف وهي لاهية ... كأنما شفَّ وجهها ترَف
قضى لها الله حين صورها الخالق الا يكنها سدف
حوْراء جيداء يستضاء بها ... كأنها خوط بانةٍ قصف
خود يغثُّ الحديث ما صمتت ... وهو بفيها ذو لذة طرف
تخزنه وهو مشتهى حسن ... وهو اذا ما تكلمت أُنُف
كأنها درة أحاط بها الغوّاص يجلو عن وجهها الصدف

* * *

فما المال والاخلاق إلا معارة ... فما شئت من معروفها فتزوّدِ
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه ... وان قدت بالحق الرواسي تنقد
متى ما أتيت الامر من غير بابه ... ضللت وان تدخل من الباب تهتد

(شفيق جبري)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net